مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التسليم للعترة الطاهرة:

جَمَالِيَّةُ الأُسْلُوْبِ فِي الصَّحِيْفَةِ السَّجَّادِيَّةِ وَارْتِبَاطِهِ بِالقُرْآنِ الكَرِيْمِ
أُسْلُوْبُ التَّقْدِيْمِ وَالتَّأْخِيْرِ أُنْمُوْذَجًا

فاطمة شيخو أحمد [1]

١ جامعة حلب / كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة،سوريا؛

dr.fa.mo.no.ya@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/١٠/١٤	٢٠٢٤/١١/٢٣	٢٠٢٥/٦/٣٠

المجلـد (٢٢) العـدد (٣٤)
محرم ١٤٤٧هـ. حزيران ٢٠٢٥ م

DOI:
10.55568/t.v22i34.53-70

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يعدُّ أسلوب التقديم والتأخير من المسائل التي شغلت اهتمام العديد من البلاغيّين قديمًا وحديثًا، وهو ينمُّ عن تميُّزٍ أسلوبيٍّ، من شأنه أن يبهرَ أفئدة المتلقِّين، وعقولهم. وكان خيرُ دليلٍ على إجادة العرب وتمكُّنهم من الأخذ بناصية اللُّغة، ومقدرتهم على التصرُّف في فنون الكلام.

فضلاً عن أنَّ التقديم والتأخير من أهمِّ الأساليب التي وردت في القرآن الكريم الذي اشتمل على صنوفٍ من الأساليب البلاغيَّة الرفيعة التي نمَّت عن إعجازه.

فهو بابٌ كبيرٌ من أبوابِ البيان، وكنوز التبيان، زيادةً على أنَّه أحد مجالي الفرائد التي تميِّز اللُّغة العربيَّة من غيرها من اللُّغات الأخرى. ومن الملحوظ أنَّ الصحيفة السَّجاديَّة، حفلت بالعديد من المواضع التي دلَّت على وجود أسلوب التقديم والتأخير في الصحيفة السجاديَّة، والذي كان حاضرًا بقوّةٍ فيها، حتَّى شكَّل ظاهرةً واضحةً فيها. وتبعًا لذلك، فقد عني البحث بالوقوف عند أسلوب التقديم والتأخير في أدعية الإمام السجّاد ﷺ، ودراسة ما أضفاه ذلك الأسلوب على معاني النصوص الدعائيَّة من وظائفٍ غائيَّةٍ تعبيريَّةٍ، كان لها أهميَّةٌ كبيرةٌ في التعبير عن مقصديَّة الأدعية.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام السجّاد ﷺ، التقديم والتأخير، الدعاء، الصحيفة السجاديَّة، المقصديَّة.

Al-Sahifa Al-Sajjadiyya Aesthetic Style and Its Connection to the Glorious Qur'an: Precedence and Delay as a Model

Fatimah Sheikho Othman [1]

1 /University of Aleppo / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic Language, Syria;

dr.fa.mo.no.ya@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
14/10/2024	23/11/2024	30/6/2025

DOI: 10.55568/t.v22i34.53-70 Volume (**22**) Issue (**34**) Muharram 1447 AH June 2025 AD

CC BY NC

Abstract:

The rhetorical technique of preceding and following (Arabic: al-taqdim wa al-ta'khir) has long captured the attention of both classical and modern rhetoricians. This method showcases a unique stylistic particularity that draws the audience. It stands as a testament to the Arabic expertise and mastery of the Arabic language, underscoring their skill in various forms of discourse. Furthermore, preceding and following as a technique is one of the most crucial rhetorical devices found in Glorious Quran, which contains numerous high-level rhetorical styles that highlight its unmatched nature. This technique is a significant channel of eloquence and a source of clear expression, setting Arabic text apart from other languages. Al-Sahifa Al-Sajjadiyya notably features many examples of preceding and following, as it is prominently displayed a distinct stylistic feature in the text. As a result, this research is dedicated to exploring the style of preceding and following in the supplications (du'a)

of Imam Al-Sajjad(a.s.). It examines the teleological and expressive roles that this stylistic device plays in shaping the meanings of the supplicatory texts, highlighting its crucial role in conveying the intentionality (maqṣadiyya) of these supplications.

Keywords: Imam Al-Sajjad, preceding and following (al-taqdim wa al-ta’khir), Supplication (Du'a), Al-Sahifa Al-Sajjadiyya, Intentionality (Maqṣadiyya).

المقدِّمة:

يمتاز البحثُ في أسلوب التقديم والتأخير بأنَّه أحدُ أهمِّ القضايا التي اهتمَّ بها كبارُ الفصحاء والبلغاء، إذ عدُّوه لونًا من ألوان عبقريَّة اللُّغة العربيَّة، فهو من الأسرارِ الدقيقة التي يمتازُ بها البيان، كما يعدُّ أحد مجالي الفرائد البيانيَّة التي تمتاز بها اللُّغة العربيَّة من غيرها.

فضلاً عن أنَّ التقديم والتأخير هو الخصيصة التي يتميّز بها الأسلوب، وذلك لما يتَّصف به من طريقةٍ في النّظم وترتيب الكلِم، تخالف الترتيب اللُّغويَّ العادي، فتصبح التراكيبُ مصاغةً صياغةً جديدة، يتمُّ فيها تحرِّي المعنى والتعويل عليه، فضلاً عن أغراضه البلاغيَّة، إذ إنَّه يرتبط بقضايا السياق، ومقتضيات الحال، ومراعاة الموقف، فضلاً عن أنَّه أحد وجوه الإعجاز القرآنيِّ، حيث وظَّف القرآن الكريم أسلوب التقديم والتأخير في مواضع كثيرة، غير أنَّ هذا الأسلوب لم يردْ في القرآن إلَّا من أجل أن يحقِّق مقصديَّة خاصَّة بالسياق الذي يرد فيه.

وقد امتازت الصحيفةُ السجاديَّةُ باشتمالِها على العديدِ من الأساليب اللُّغويَّة والفنِّيَّة والبيانيَّة، التي حفلت بها النصوصُ السجاديَّة، ومن أشهر تلك الأساليب اللُّغويَّة التي شكَّلت ظاهرةً واضحةً في أدعية الإمام السجَّاد ﷺ، هو اعتماده الكبير على أسلوب التقديم والتأخير، وأنَّ هذا الأسلوب نمَّ عن تمكُّن الإمام السجَّاد ﷺ من اللُّغة، وقوَّة بيانه.

واتَّبعنا في دراستنا المنهج الأسلوبيَّ الذي يُعنى بدراسة النصوص، وتحليلها، والنفاذ إلى المعاني المخبوءة من وراء الألفاظ، بغية الوصول إلى مقصديَّة المبدع، فكان المنهج الأسلوبيُّ هو خير منهج، يمكنُنا من البحث في أسرار الأدعية في الصحيفة السجاديَّة، والكشف عن معانيها.

أوَّلاً: أسلوب التقديم والتأخير:

يعدُّ من الظواهر اللُّغويَّة التركيبيَّة في الجملة العربيَّة، وهو وإن كان ظاهرةً مشتركةً بين اللُّغات، فإنَّه في اللُّغة العربيَّة يحوز "مكانةً خاصَّة، واستغلالاً أوسع، وطاقةً على التعبير أشدّ تنوُّعًا وتفنُّنًا"[١،٢]

وإذا كان الكلام الحسن هو الكلام البليغ، فإنَّ القول البليغ في بنية الإسناد، يتحقَّق عبرَ عددٍ من الوسائل منها بابٌ مهمٌّ هو التقديم والتأخير[٣].

وفي أسلوب التقديم والتأخير، ينبغي للمتلقِّي التنبُّه على المواضع التي حصل فيها التقديم والتأخير، وذلك لأنَّ "مجرَّد المخالفة، ينبئ عن غرضٍ ما، وإنَّ هذا الغرض قد يكون توجيه التفات السامع إلى كلمةٍ من الكلمات عن طريق إبراز هذه الكلمة إبرازًا يتحقّق عنه تأثيرٌ ما."[٤]

ثانيًا: التقديم والتأخير في الصحيفة السجاديَّة:

من أكثر ما يميِّزُ الخطاب الأدبيِّ، ويجعله يتَّسم بالأدبيَّة التي تميِّزه من الخطابِ النفعيِّ الإخباريِّ، هو مدى الإجادة التي تتحقَّقُ عبرَ مقصديَّةٍ منظَّمةٍ، تشي بتمكُّن المُبدع من اللُّغة، وبراعته في البلاغة ونظم الكلِم[٥]، وكلُّ ذلك من أجل التأثير في المتلقِّي، فهو الغاية التي من أجلها يحدثُ ذلك التغيير من إعادة الترتيب للجمل والتراكيب، ولجوء المبدع إلى تقديم أمورٍ يعوَّل عليها، ويؤخِّر أمورًا أخرى.

---

١ الجطلاوي, الهادي . قضايا اللغة وكتب التفسير, ط١ (تونس: دار محمد علي الحامي للنشر, ١٩٩٨), ٥٢٦.

٢ جميلة بكوش, "البعد الجمالي للغة في الحوار القرآني ـ التقديم والتأخير نموذجًا" جامعة تيارت, (د.ت.), ١٧٦.

٣ المبارك, محمد .استقبال النص عند العرب, ط١ (المؤسسة العربية للدراسات, ١٩٩٩), ٢٥٩.

٤ عبد الحكيم راضي, نظرية اللغة في النقد العربي, ط١ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة, ٢٠٠٣), ١٩٣.

٥ حسين, إدريس طارق. المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين ﷺ (كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات, ٢٠٢٢), ١١٣.

ذلك أنَّ للتقديم والتأخير وظيفةً، يرومُها صاحبُ النَّصِّ، "فالمتلقِّي في فلسفة التقديم والتأخير عنصرٌ جوهريٌّ، يتوقَّف عليه تكامل المنتج الإبداعيِّ، ولا بدَّ من إثارته إيجابًا وتشويقًا، وتعديلاً في أواصره الفكريَّة، وإثرائه بالتنوُّعات المعرفيَّة"[٦].

ـ أنواع التقديم والتأخير في الصحيفة السجاديَّة:

اشتملت الصحيفة السجاديَّة على العديد من الأمثلة عن أسلوب التقديم والتأخير في الجمل الإسميَّة والفعليَّة، إذ بدا تأثُّر الإمام زين العابدين عليه السلام، بالبيان القرآنيِّ في أساليبه وتراكيبه، حتَّى أنَّ هذا التأثُّر تجلَّى عن طريق الخروج عن النمط التقليديِّ للتراكيب اللُّغويَّة، وذلك عبر القيام بتقديم بعض الكلمات وتأخير بعضها الآخر، وكلّ ذلك من أجل وظيفةٍ دلاليَّة، وغاية أسلوبيَّة، لا تتحقَّق إلَّا عن طريق التقديم والتأخير. ومن أبرز وجوه التقديم والتأخير في الصحيفة السجاديَّة:

أ ـ تقديم الخبر على المبتدأ:

ضمَّت الصحيفةُ السجاديَّة، نماذجَ عدَّة، عن تقدُّم الخبر على المبتدأ، كالدعاء الذي جاء فيه:

"اللَّهمَّ لكَ الحمدُ، أن خلقْتَ فسوَّيت، وقدَّرْت وقضَيت، وأمتَّ وأحييت، وأمرضتَ وشفَيت"[٧]

فقد تقدَّم هنا الجار والمجرور على المبتدأ في قوله: (لك الحمد)، وكان لهذا التقديم مقصديَّةٌ دلاليَّة أفادت معنى القصر والتخصيص، فقد عمد الإمام عليه السلام إلى التوجُّه بمعاني الحمد والشكر لله وحده على آلائه التي أنعم بها على عباده.

ومن اللافت في هذا الشاهد أنَّ الإمام السجّاد عليه السلام، وظّف أسلوب التقديم والتأخير في دعائه، ليحاكي به الأسلوب القرآنيَّ، إذ إنَّه افتتح دعاءه بتخصيص الحمد والشكر لله، وبعد ذلك، انتقل إلى بيان الأسباب التي استوجبت الحمد والشكر

٦ عبد الجليل, عبد القادر. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية, ط١ (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع, ٢٠٠٢), ٢٩٥.
٧ الصحيفة السجادية الكاملة, ط٢ (بيروت، لبنان: للمطبوعات مؤسسة الأعلمي, ٢٠٠١), ٥٥٠.

لله، بأن ذكر النعم التي حباها الله ﷻ لعباده، وذلك لأنَّه جلَّ وعلا، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وقضى الأقدار بمشيئته ولطفه، وشفى المرضى بألطاف عنايته، ونظرًا لكلِّ تلك النعم والعطايا كان لا بدَّ من توظيف الإمام ﷺ أسلوب التقديم والتأخير، بأن قدَّم الخبر الذي هو شبه جملة على المبتدأ في قوله: (لك الحمد). ومن الملحوظ هنا، أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، استلهم أسلوبه من البيان العالي، ومثال ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ (التغابن: ١)

ففي هذه الآية القرآنيَّة، نجد أنَّ الملك والحمد لله وحده، لكن هذا المعنى لم نكن لنصل إليه لولا التقديم والتأخير، فثمَّة فرقٌ كبير في المعنى بين: (له الملك وله الحمد)، وبين: (الملك لله، والحمد لله).

وقد تجلَّى هذا الفرق عن طريق المعنى الذي أضفاه أسلوب التقديم والتأخير، وهو معنى القصر والاختصاص. وذلك لأنَّ الحمد كلَّه لله تعالى، والملك كلَّه له وحده، فعمل التقديم والتأخير في الآية الكريمة على جعل المعنى يتَّسم بالاستعظام والقوَّة.

وتبعًا لذلك، نجد أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، وظَّف أسلوب التقديم والتأخير، توظيفًا فكريًّا، فهو ليسَ مجرَّد عدول تركيبيٍّ، وإنَّما هو عدولٌ أسلوبيٌّ دلاليٌّ، ذلك لأنَّ "للتقديم قيمةً شعريَّةً وإيصاليَّة غاية في الأهمِّيَّة حيث تسهمُ الموقعيَّةُ في تفسير قيمة التقديم الفنِّيَّة"[٨].

كما نجد تقدُّم الخبر على المبتدأ في دعاء الإمام ﷺ:

"فيا منتهَى أمل الآملين، ويا غاية سُؤلِ السّائلين، ويا أقصى طلبة الطالبين، ويا أعلى رغبة الراغبين، ويا وليَّ الصالحين، ويا أمان الخائفين، ويا مجيبَ دعوة المضطرّين، ويا ذخر المعدمين، ويا كنز البائسين، ويا غياث المستغيثين، ويا قاضي حوائج الفقراء

٨ أراشد, نسام محمد. "شعر صلاح عبد الصبور، دراسة أسلوبية" (كلية التربية، الجامعة المستنصرية, ١٩٩٧), ١٧٠.

والمساكين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، لك تخضُّعي وسؤلي، وإليك تضرُّعي وابتهالي، أسألُك أن تنيلني من رَوح رضوانك، وتديم عليَّ نعم امتنانك"[٩].

يظهر في هذا الشاهد مدى تأثُّر الإمام السجَّاد عليه السلام بالأسلوب القرآنيِّ، وقد بدا ذلك واضحًا في تقديمه الخبر على المبتدأ، في قوله:(لك تخضُّعي، وإليك تضرعي).

وقد أفاد تقديم شبه الجملة هنا على المبتدأ، معنى العجز والافتقار الدائم إلى الله عزوجل وحده، وتخصيص الغنى المطلق لله وحده، ومن شأن تقديم الخبر على المبتدأ في هذا الموضع، أن وظَّفه الإمام السجَّاد عليه السلام في دعائه، لينطلق منه إلى أن يسأل الله عزوجل في حاجته.

وجديرٌ بالذكر هنا، أنَّ الإمام السجَّاد عليه السلام، لم يفتتح دعاءه بأسلوب التقديم والتأخير، وإنَّما جعله مؤخَّرًا بعد سلسلةٍ من التراكيب الندائيَّة المتتالية، التي انتقل منها الإمام عليه السلام إلى أن يسأل الله عزوجل حاجته، فجنح إلى توظيف أسلوب التقديم والتأخير. ومن المواضع التي تقدَّم فيها الخبر على المبتدأ في الصحيفة السجاديَّة، ما نجده في دعاء الإمام عليه السلام:

"فأنتَ لا غيرك مرادي، ولك لا لسواكَ سهري وسهادي، ولقاؤُك قرَّة عيني، ووصلُك منى نفسي وإليك شوقي، وفي محبَّتِك ولهي، وإلى هواكَ صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتُك حاجتي، وجوارُك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواءُ علَّتي، وشفاء غلَّتي، وبردُ لوعتي، وكشفُ كربتي"[١٠].

عمدَ الإمامُ السجَّاد عليه السلام في مناجاته إلى استعمال أسلوب التقديم والتأخير في مقام تضرُّعه إلى الله عزوجل والتوجُّه إليه بأن يمنَّ عليه، ليجعله من عباده الصالحين الذين أخلصوا لله في الطاعة والعبادة، وتفرَّدوا لذكر الله عزوجل، فاعتنى الله بقلوبهم وقربهم إليه، ووفَّقهم إلى ما يرجون، وهداهم للخيرات، وحفظهم من المهالك.

٩ الصحيفة السجادية الكاملة, ٤١٦.

١٠ الصحيفة السجادية الكاملة, ٤١٢.

فسأل الإمام السجَّاد الله ﷻ أن يجعله منهم، ويختصَّه بالمحبَّة والمعرفة، فلجأ إلى توظيف التقديم والتأخير، بأن قدَّم الخبر على المبتدأ، ووظَّفه في سبيل التعبير عن الاستعانة بالله ﷻ، واللُّجوء إليه فجعل الخبر المتمثِّل في شبه الجملة، يعود على الجناب الإلهيِّ الأقدس، ليحصر أسباب القوَّة والغنى في الله ﷻ وحده، أمَّا ما قام بتأخيره من الألفاظ، فقد جعلها مخصَّصة لوصف حال العبد الذي هو في افتقارٍ دائم إلى خالقه.

وقد بدا تأثُّر الإمام السجَّاد ﷺ بالأسلوب القرآنيِّ، عن طريق قيامه بتقديم بعض الكلمات على بعضها الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٢﴾-.(الشورى: ١٢) فقد أفاد التقديم والتأخير في الآية القرآنيَّة، أن جعل كلَّ أسباب القوَّة والإرادة متعلِّقةً بشبه الجملة (له)، في قوله تعالى: (له مقاليد). ومن ذلك نجد أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، حاكى في أسلوبه الأسلوب القرآنيَّ، فلجأ إلى تقديم الخبر على المبتدأ في سياق حصر القدرة والقوَّة وتخصيصهما في الجناب الإلهيِّ الأقدس، وجعل تلك القدرة هي الأساس الذي استندت عليه الكلمات التي قام بتأخيرها عمدًا.

ذلك أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، يريد أن يصل من خلال هذا النسيج اللُّغوي الذي تجلَّى من خلال التقديم والتأخير، إلى حقيقةٍ، مفادها أنَّ الإنسان يبقى عاجزًا ضعيفًا ولا يقوى على فعل أيِّ شيء، فضلاً عن عجزه عن القيام بتأدية العبادات، إلَّا بأسباب القدرة التي يستمدُّها من الله جلَّ وعلا، من أجل أن يتمكَّن من تأدية العبادة الواجبة عليه، فكلُّ شيء في الوجود يستمدُّ قوَّته ووجوده من الله ﷻ، وفي هذا المعنى، أبهى صورة من صور الافتقار الدائم إلى الله ﷻ.

كذلك نجد تقدُّم الخبر على المبتدأ في مناجاة الإمام ﷺ:

"إلهي نفسٌ أعززتها بتوحيدك، كيف تذلِّها بمهانة هجرانك؟ وضميرٌ انعقد على

مودَّتك، كيف تحرقه بحرارة نيرانك؟"[١١].

في هذا الشاهد، نجد أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، قدَّم الخبر على المبتدأ في قوله: (نفسٌ أعززتها، ضميرٌ انعقد)، ومن الملحوظ هنا أنَّ تقدُّم الخبر على المبتدأ، لم يكن اعتباطيًّا، بل كان من أجل غاية دلاليَّة، أراد الإمام ﷺ بها أن يولي الأهمِّيَّة للألفاظ التي جاءت في محلِّ الخبر، لتسليط الضوء عليها، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ "تغيير مواقع الكلمات، لا يغيِّر بالضرورة دائمًا في المعنى الأساسيِّ للجملة، ولكنَّه قد يحدث تأثيرًا معنويًّا أسلوبيًّا، ينقل مواقع التركيز المعنويِّ من كلمة إلى أخرى"[١٢].

إذ إنَّنا يمكننا أن نطلق على ما يتم تأخيره عمدًا في النَّصِّ الدعائيِّ، بالركائز الأساسيَّة التي على أساسها تنبني القيمة الأسلوبيَّة والدلاليَّة في الدعاء.

ب ـ تقديم متعلِّقات الفعل على الفعل:

للجملة ترتيبٌ أصليٌّ، تتدرَّج به من الفعل إلى الفاعل ثمَّ المفعول، وقد يتعلَّق بالفعل شبه الجملة، كالظرف والجار والمجرور، والأصل أن يتقدَّم الفعل على المتعلِّق به، لكن أجاز النحاة تقدُّمَ متعلِّقات الفعل عليه، لما في ذلك من قيمةٍ أسلوبيَّة ودلاليَّة، ونجد مثال ذلك في دعاء الإمام السجَّاد ﷺ:

"اللَّهمَّ إنِّي بذمّة الإسلام أتوسَّل إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبمحمَّد المصطفى صلَّى الله عليه وآله أستشفع لديك، فاعرف اللَّهمَّ ذمَّتي التي رجوت بها قضاء حاجتي يا أرحم الراحمين"[١٣].

نلحظ هنا أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، وظَّف أسلوب التقديم والتأخير، وأورده في دعائه، فعمل على تسليط الضوء على الجوانب المهمَّة والمعوَّل عليها في الدعاء، فمن

---

١١ الصحيفة السجادية الكاملة, ٤٠٥.

١٢ أبو عودة, عودة خليل. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، دراسة دلالية مقارنة, ط١ (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار, ١٩٨٥), ٧٥.

١٣ الصحيفة السجادية الكاملة, ٥٥٤.

إحدى مميّزات أسلوب التقديم والتأخير أنَّه يمكِّن صاحبه من إظهار الأمور التي يريد التركيز عليها، والتنبيه على ضرورتها، وأهمِّيَّتها.

وجاء الدعاء هنا في معرض التضرُّع إلى الله ﷻ، والتوسُّل إليه، والتمسُّك بحبل الإسلام، كما سأل الإمامُ السجَّادُ ﷺ اللهَ ﷻ أن يقضي له حاجته، ويحقِّق مراده، ولكن لم يسأله حاجته ويذكرها مباشرةً، وإنَّما وظَّف أسلوب التقديم والتأخير، فقدَّم متعلِّقات الأفعال على الأفعال، فجاء بالجارِّ والمجرور قبل الأفعال، في قوله: (بذمَّة الإسلام أتوسَّل، بحرمة القرآن أعتمد، وبمحمَّد المصطفى أستشفع)، والتقديم هنا، لم يأتِ إلَّا لبيان أهمِّيَّة المتقدِّم، ذلك أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، بنى دعاءه بناءً تركيبيًّا خاصًّا، يقوم على التقديم والتأخير، فاتَّخذ من تقديم الجارِّ والمجرور، ركيزةً أساسيَّةً، بنى على أساسها معانيه ودلالاته، وذلك لجعل الدعاء أبلغ تأثيرًا وأشدَّ وقعًا في النفس، فلجأ إلى تقديم شبه الجملة هنا على الأفعال، من أجل تأكيد معنى الاختصاص والقصر، وجعل أسباب القوَّة متعلِّقة فقط بالله ﷻ وحده.

وقد حاكى الإمام السجَّاد ﷺ في توظيفه للتقديم والتأخير، الأسلوب القرآنيّ، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ١﴾ (الانعام:١).

ذلك لما يشتمل عليه التقديم من قيمةٍ أسلوبيَّة ودلاليَّة، لا نجدها في التركيب المعتاد.

كذلك نجد تقدُّم متعلِّقات الفعل على الفعل في مناجاة الإمام ﷺ:

" إلهي بقدرتك عليَّ تبْ عليّ، وبحلمك عنِّي اعفُ عنِّي، وبعلمك بي ارفق بي" [١٤]

يبدو هنا واضحًا أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، وظَّف أسلوب التقديم والتأخير في مناجاته التي تحمل معنى التضرُّع والتوجُّه إلى الله ﷻ بأن يشمله بفيض رحمته، ويمحو ما تقدَّم من ذنوبه وما تأخَّر منها، بعفوه وكرمه، كما يسأل الله ﷻ أن يستر عيوبه ويتوب عليه، ويعفو عنه بعفوه ورضاه.

إلَّا أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ لم يأتِ بمعانيه بشكلٍ مباشر ويصيغها صياغةً عادية

١٤ الصحيفة السجادية الكاملة, ٤٠٢.

ومباشرة، وإنَّما عمل على إعادة ترتيب الجمل والتراكيب وصياغتها صياغة جديدة، بعيدة عن المألوف، فعمدَ إلى تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها الآخر، وذلك بحسب أهمِّيَّتها، والقيمة المضافة من كلٍّ من التقديم والتأخير. فقام بتقديم كلٍّ من ألفاظ العناية واللُّطف، ونسبها إلى الجناب الإلهيِّ، مثل قوله: (بقدرتك، بعلمك، بحلمك)، فابتدأ بإيراد تلك الألفاظ، وقدَّمها على الأفعال، وذلك للدلالة على الانكسار والخضوع إلى الله ﷻ، وسؤاله بأن يعفوَ عنه، ويتوبَ عليه بفضله ورحمته، ثمَّ قام بتأخير الأفعال التي تعود عليه، في قوله: (تب عليّ، اعف عنّي، ارفق بي).

تقديم الجار والمجرور على المفعول به في هذا الموضع، يتشابه مع التقديم والتأخير الذي وجدناه في الآية القرآنيَّة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: ٣٤). فتقدّم في هذه الآية، الجار والمجرور (على صلاتهم) على الفعل (يحافظون)، لما للمتقدِّم من أهميّةٍ كبيرة، اقتضت أن يتمَّ تقديمها على ما سواها، نظرًا لأنها الأساس الذي بني التركيب عليه.

وكان استعماله للتقديم والتأخير هنا، من أجل وظيفةٍ، تجلَّت من خلال مخاطبة الله ﷻ بقدرته وحلمه وعلمه الذي وسع السماوات والأرض، فكان التقديمُ هنا من أجل مخاطبة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، والتوجُّه إلى الله ﷻ بها أن يعفو عنه. فقد مكَّن أسلوبُ التقديم والتأخير، الإمامَ السجَّاد ﷺ من إعادة ترتيب الكلمات وصياغتها تبعًا لأهمِّيَّتها، ووفقًا لتراتبيَّةٍ محدَّدةٍ، يقتضيها السياق.

كما تجلَّى أسلوب التقديم والتأخير في مناجاة الإمام ﷺ:

" إلهي، بكَ هامَت القلوبُ الواهة، وعلى معرفتِك جُمعت العقولُ المتباينة، فلا تطمئنُّ القلوبُ إلَّا بذكرك، ولا تسكن النفوس إلَّا عند رؤياك، أنت المسبِّح في كلِّ مكان، والمعبود في كلِّ زمان، والموجود في كلِّ أوان، والمدعو بكلِّ لسان"[١٥].

عمد الإمام السجَّاد ﷺ في هذه المناجاة إلى تقديم متعلِّقات الفعل، من الجار

١٥ الصحيفة السجادية الكاملة, ٢٣٩_٢٤٠.

والمجرور على الأفعال، كما في قوله: (بك هامت، على معرفتك جمعت). وهذا التقديم، لم يأتِ إلَّا من أجل غايةٍ تعبيريَّة، اقتضت أن يتقدَّم الجار والمجرور على الأفعال، لما يشتمل عليه المتقدِّم من أهمِّيَّةٍ كبيرة.

ج ـ تقديم المفعول به على الفعل:

للجملة ترتيبٌ أصليٌّ، تبدأ فيه بالفعل فالفاعل فالمفعول به، لكن قد يُقدَّم المفعول به على فعله في بعض المواضع، حيث تقدَّم المفعول به على الفعل في مناجاة الإمام السجَّاد عليه السلام: **"بكَ أستجيرُ يا ذا العفو والرضوان من الظلم والعدوان، ومن غِيَرِ الزمان وتواتر الأحزان، ومن طوارق الحدثان، ومن انقضاء المدَّة قبل التأهُّب والعدَّة، وإيَّاك أسترشد لما فيه الصلاح والإصلاح، وبك أستعين فيما يقترن به النجاح والإنجاح، وإيَّاك أرغبُ في لباسِ العافية وتمامِها، وشمول السلامة ودوامِها"**[١٦].

وردت المناجاة هنا في مقام التضرُّع إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد حمل الدعاء معاني الافتقار الدائم إلى الله عزَّ وجلَّ، بما فيه من معاني طلب المدد والاستعانة بالله عزَّ وجلَّ، وتبعًا لذلك لجأ الإمام السجَّاد عليه السلام إلى توظيف التقديم والتأخير في دعائه، فقدَّم المفعول به، الذي هو ضمير النصب المنفصل: (إيَّاك) على الفعل، في قوله: (وإيَّاك أسترشد، وإيَّاك أرغب)، فأفاد معنى التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ وحده، وهذا التقديم يشي بأنَّ الإمام السجَّاد عليه السلام، أراد أن يعبِّر في نصِّ دعائه عن ضعف الإنسان الذي يؤدِّي به إلى الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ وتسليم الأمر إليه في السرَّاء والضرَّاء.

ونجد الأسلوب ذاته في الآية القرآنيَّة التي ورد فيها التقديم والتأخير، فتقدَّمت فيها الكلمات التي تكون دلالةً على الملجأ الذي به تستقيم حياة العباد، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة: ٥)

وكذلك نجد تقديم المفعول به على الفاعل في مناجاة الإمام عليه السلام:

"إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض

١٦ الصحيفة السجادية الكاملة, ٥٤١.

فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك"[١٧].

ففي هذا الشاهد، نجد أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، وظَّف أسلوب التقديم والتأخير توظيفًا فنيًّا بما يتوافق مع الدلالة التي بُنيت عليها المناجاة، حيثُ تقدَّم المفعول به مع المتعلِّق به (الجار والمجرور مع المضاف والمضاف إليه) على الفاعل والمتعلِّق به. وهذا التقديم والتأخير، أسهم في إحداث تغيير على البنية التركيبيَّة المعتادة، وهذا التغيير من شأنه أن يؤدِّيَ إلى التأثير في المتلقِّي، ودفعِه للبحث عمّا وراء ذلك التغيير على البنية الأساسيَّة للتركيب، وهو ما أراده الإمام السجَّاد ﷺ، وذلك عندما عمد إلى تأخير الفاعل، لتشويق المتلقِّي لمعرفته، زيادة على بيان أهمِّيَّة المؤخَّر بعدما قدَّم آثاره في المتقدِّم.

ونجد مثال ذلك في الآية القرآنيَّة الكريمة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ١٠٣﴾. (يونس:١٠٣)

وهذا ينتهي بنا إلى حقيقةٍ مفادها أنَّ الإمام السجَّاد ﷺ، أفاد من إمكانات اللُّغة بما فيها من طاقاتٍ تعبيريَّةٍ وأسلوبيَّة، قام بتوظيفها في خدمة سياق دعائه.

١٧ الصحيفة السجادية الكاملة, ٤٠٩.

الخاتمة:

ومن أهمِّ النتائج التي توصَّل إليها بحثنا:

١ ــ كان للتقديم والتأخير حضورٌ كبيرٌ في نصوص الأدعية في الصحيفة السجَّاديَّة، حتَّى شكَّل هذا الأسلوب ظاهرةً واضحةً في النصِّ السجَّاديِّ، وقد استلهم الإمام السجَّاد ﷺ أساليبه ونظمه للكلم من الأسلوب القرآنيِّ، ونحا نحوه، واقتدى به في طريقة ترتيب الكلمات في الجمل والتراكيب بما يتناسب مع المقصديَّة التي ورد من أجلها الدعاء.

٢ ــ تبيَّن لنا من خلال التحليل التركيبيِّ للصحيفة السجَّاديَّة، قدرةُ الإمام ﷺ الفذَّة ومهارته التي مكَّنتهُ من تورية المعاني، من خلال امتلاكه لناصية اللُّغة، والتحكُّمِ في نَظم الكلِم، ولا أدلَّ على ذلك من أسلوبِ التقديم والتأخير الذي عمدَ فيه الإمام السجَّاد ﷺ إلى إعادة ترتيب الجمل، ترتيبًا يخالفُ ترتيبها العادي، ويكون موافقًا لسياقه، رغبةً منه في تحفيزِ ذهن المتلقِّي، وعدم إظهار المعنى له بوضوح، ودفْعِه إلى التفكُّر والبحث عن المعاني الخفيَّة المخبوءة وراءَ الأساليبِ اللُّغويَّة التي كانت موضوعةً من أجل غايةٍ معيَّنةٍ أرادَها.

٣ ــ إنَّ أكثر ما يميِّزُ التقديم والتأخير هو عدولهُ عن النمطيَّة في صياغة الجمل والتراكيب، وإعادة ترتيبها ترتيبًا جديدًا بما يتوافق والرؤيةَ الخاصَّة بالمبدع، وما يضمره من معانٍ يريد أن يوصلها من خلال الخروج عن الصيغة المألوفة لنظم الكلام، وصياغته صياغةً فنيَّةً، تُراعى فيها القيمة الفنيَّة والمؤدَّى المعنويّ والمقصديّ للمبدع.

٤ ــ لم يقتصرْ التقديم والتأخير في الصحيفة السجَّاديَّة على العنصر الجماليِّ الفنِّيِّ الناتج عن إنتاج صياغة جديدة وابتكارها، وإنَّما تجلَّت أهمِّيَّته من خلال التأثير والإقناع في قالبٍ جماليٍّ ممتعٍ وجديدٍ ومغايرٍ للمألوف.

٥ ــ كذلك اشتمل أسلوب التقديم والتأخير على عنصر الجذب والتشويق، والذي

تجلَّى من خلال قيام المبدع بتقديم ما يريد به أن يأتي متقدِّمًا، وتأخير ما يريد به أن يأتي متأخِّرًا في النَّصِّ، وذلك من أجل الوظيفة الدلاليَّة التي يؤدِّيها أسلوب التقديم والتأخير.

٦ ــ حاكى الإمامُ السجَّادُ ﷺ الأسلوبَ القرآنيَّ في أدعيته ومناجياته، فاستلهم أسلوب التقديم والتأخير من البيان العالي، وهو ما وجدناه في نظم الجمل والتراكيب التي سعى الإمام ﷺ إلى ترتيبها ترتيبًا جديدًا مخالفًا لترتيبها الأصلي، فخرج عن المألوف والمعتاد في نظم التراكيب، فلجأ إلى أسلوب التقديم والتأخير، الذي مكَّنه من الخروج عن التراكيب المألوفة، فراعى في تقديمه الألفاظ التي جعل لها أهمِّيَّة كبيرة في أدعيته، بوصفها الأساس الذي بنى عليه أدعيته، وأخَّر بعض الألفاظ، رغبةً منه في جذب انتباه وتركيز المتلقِّي للدعاء.

المصادر:

القرآن الكريم.

أبو عودة, عودة خليل. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، دراسة دلالية مقارنة. ط١. الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار, ١٩٨٥.

أراشد, نسام محمد. "شعر صلاح عبد الصبور، دراسة أسلوبية." كلية التربية، الجامعة المستنصرية, ١٩٩٧.

الجطلاوي, الهادي. قضايا اللغة وكتب التفسير. ط١. تونس: دار محمد علي الحامي للنشر, ١٩٩٨.

الصحيفة السجادية الكاملة. ط٢. بيروت، لبنان: للمطبوعات مؤسسة الأعلمي, ٢٠٠١.

المبارك, محمد. استقبال النص عند العرب. ط١. المؤسسة العربية للدراسات, ١٩٩٩.

بكوش, جميلة. "البعد الجمالي للغة في الحوار القرآني ـ التقديم والتأخير نموذجًا." جامعة تيارت, د.ت.

حسين, إدريس طارق. المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام. كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات, ٢٠٢٢.

راضي, عبد الحكيم. نظرية اللغة في النقد العربي. ط١. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة, ٢٠٠٣.

عبد الجليل, عبد القادر. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. ط١. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع, ٢٠٠٢.

References

The Glorious Qur'an

Abou-Odeh, O. K. (1985). Semantic Development Between the Language of Poetry and the Language of the Qur'an: A Comparative Semantic Study (1st ed.). Al-Manar Library.

Abd al-Jalil, A. Q. (2002). Stylistics and the Trilogy of Rhetorical Circles (1st ed.). Dar Safa' for Publishing and Distribution.

Arashed, N. M. (1997). Poetry of Salah Abd al-Sabour: A Stylistic Study. College of Education, Al-Mustansiriya University.

Bakouch, J. (n.d.). Aesthetic Dimension of Language in Qur'anic Dialogue: Fronting and Postponement as a Model. University of Tiaret.

Hussein, I. T. (2022). Imam Zainul Abideen's (A.S.) Intimate Supplications and Daily Invocations. Al-Abbas Holy Shrine, Al-Ameed International Center for Research and Studies.

Al-Jatlawi, H. (1998). Language Issues and Exegetical Books (1st ed.). Dar Muhammad Ali Al-Hami for Publishing.

Al-Mubarak, M. (1999). Reception of the Text Among Arabs (1st ed.). Arab Institute for Studies.

Radhi, A. H. (2003). Theory of Language in Arab Criticism (1st ed.). The Supreme Council for Culture.

Al-Sahifa Al-Sajjadiyya Al-Kamila. (2001). (2nd ed.). Al-Aalami Foundation for Publications.